دور شبكات التّواصل الاجتماعي في صناعة قيّم المواطنة

The Role of Social Networks in Consolidation of Citizenship Values

د. إبراهيم قلواز، أستاذ مؤقت،
معهد العلوم القانونية والإدارية، المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت، الجزائر.
أ.د. غربي محمد، أستاذ التعليم العالي،
معهد العلوم القانونية والإدارية، المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت، الجزائر.

تاريخ الإرسال: 2018/06/12 / تاريخ المراجعة: 2018/11/17

ملخص:

شهد القرن الواحد والعشرين تطورا غير مسبوق في مجال تكنولوجيا الاتصال. ومع ظهور شبكة الانترنت ظهرت مواقع التواصل الاجتماعي التي أصبحت من المواقع المهمة والفعالة والتي زادت شعبيتها وانتشرت خدماتها بشكل سريع. وأضحت شبكات التواصل الاجتماعي مع انتشارها وتطورها تشكل حركة ديناميكية، أثرت ما يُطلق عليه حاليا الإعلام الجديد–البديل.

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مدى تأثير استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على قيم المواطنة لدى الأفراد من خلال التعرف على مدى استخدامها ومساهمتها في نشر قيم المواطنة لديهم وانعكاساتها الايجابية والسلبية على تلك القيم.

ومن أبرز ما توصلت إليه الدراسة هو أن شبكات التواصل الاجتماعي وما تنشره من خلال تطبيقاتها تعمل على تعزيز قيم الأخوة بين المواطنين والتأكيد على اللحمة الوطنية بين أفراد المجتمع وأن هذه الشبكات تعمل على ترسيخ وتعزيز قيم المواطنة وبالأخص الولاء للوطن والدفاع عنه، وحق المشاركة السياسية والانتخاب.

كما خلصت الدراسة إلى عدة نتائج أبرزها؛ أن الفرد يستخدم مواقع التواصل الاجتماعي دائما وقد انعكس هذا الاستخدام إيجابا على قيم المواطنة بالمشاركة في تشكيل المواطنة الحديثة والإحساس بالهوية، وانعكس استخدامها سلبا أيضا بتكريس المواطنة السلبية التي عزلت الفرد عن قيمه الوطنية وهويته. ولتطوير دور المواقع أوصت الدراسة بتوجيه وسائل الإعلام نحو تعزيز قيم المواطنة والانتماء، والقيم الشخصية، لأن شبكات التواصل الاجتماعي تحمل قيم وسلوكيات وأفكار وعادات تختلف مع أفكارنا وقيمنا خاصة القيم الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية:

شبكات التواصل الاجتماعي، المواطنة، القيم.

Abstract :

The 21st century witnessed a remarkable evplution in the communication technology field. The internet evolution led to the appearance of the social media sites. The social networking with the spread and development of networks has constituted a dynamic movement, that enriched what is now called new media-alternative.

The purpose of this study is to determine the extent of the influence resulting from the use of social networks on citizenship values among youth, by determining the extent of their attendance and their contribution to spread values of citizenship, as well as the positive and negative consequences that impact these values.

The most important results were; the social networks -through postings in various styles- have reinforced the value of fraternity between citizens and emphasized national cohesion between members of the society, they consolidatedmost of the values of citizenship especiallydefend the homeland, and the right of political participation and voting.

The study concludes several resultes, including the fact that individuel constantly use social network, which positively impacted the values of citizenchip by even participating in the formation of a modern citizenchip, and sense of identity, but also negatively by strengthening negative citizenchip. that isolated the individual from his national values and his identity

In order to develop the rol of this sites, the study recommendeddirecting the media to promot the values of citizenchip and bilonging ,personal values, because the social networking carrying values, behaviors, thought, and habites differ with our thought private social values.

Key words:
Social Networks, Citizenship, Values.

مقدمة:

لقد أدى انتشار الانترنت وتوسع استخدامها في كافة أرجاء العالم إلى تحولات جذرية في الترابط والتواصل العالمي بين الأفراد والمجتمعات، وتطورت وسائل الإعلام والاتصال منذ بداية تسعينيات القرن الماضي من حيث الأساليب والأنماط التي تتبعها والأدوات والوسائل التي توظفها، والمضامين والمفاهيم التي تروج لها، فحدث ترابط وتقارب غير مسبوق بين أرجاء العالم، خاصة مع تطور الشبكة العنكبوتية (الويبwww(World wide web) ، وظهور أجيال مختلفة من الويب بداية من الويب 1 وحتى الويب 3 ومرورًا بالويب 2 ، الذي سمح ببروز تطبيقات أكثر تفاعلية وديناميكية.

وشهدت بداية القرن الحالي تحولات عالمية جذرية على كافة المستويات، نتيجة موجات التحول الديمقراطي والثورة المعلوماتية وتجليات العولمة، وهي العوامل التي أحدثت تقاربا والتحاما بين الشعوب والثقافات، والانفتاح على الآخر، والتقليص من أهمية الحدود الزمانية والمكانية، بالتزامن مع الانتشار الواسع لتطبيقات الويب الجديدة بمختلف أنواعها، والتي أتاحت للأفراد في كل مكان طرح كافة انشغالاتهم اليومية، والمشاركة في النقاشات والأحداث المختلفة، وتبادل الرؤى والحوار مع الآخر، من خلال الرسائل المكتوبة والنصوص، والصور والرسائل المرئية ، والرسائل الصوتية المسموعة، وبذلك برزت شبكات التواصل الاجتماعي والمواقع الالكترونية المختلفة كفضاءات جديدة لإبراز اهتمامات وتوجهات الأفراد، وتشكل وعيهم وقيمهم التي لا تضبطها حدود أو معايير، وخارج أطر الرقابة، من أجل إيصال أفكارهم وتحقيق أهدافهم المختلفة.

أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي من أبرز العوامل المؤثرة في التفاعلات الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، وحتى في الأحداث اليومية، وقد أحدثت تضاربا في القيم والمعايير، وهو ما طرح عديد التساؤلات بخصوص ايجابيات وسلبيات هذه الشبكات، وما يمكن أن تؤديه من أدوار في مسار بناء الدول، خاصة في المراحل السياسية الانتقالية في العالم العربي، وبالأخص دور هذه الشبكات في تعزيز قيم المواطنة، والمساهمة في تنمية قدرات ومؤهلات الأفراد لدعم مسارات بناء الوطنية، وتعزيز قيم الولاء والانتماء وفاعلية الارتباط بدوائر الهوية والاندماج المجتمعي، والإشكالية التي تطرح نفسها في هذا السياق نوجزها في سؤال محدد كالتالي: أي دور يمكن أن تؤديه شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي وبناء قدرات الأفراد لترقية قيم المواطنة وتعزيز الانتماء الوطني؟.

الفرضية الرئيسية في هذه الدراسة ترى أن شبكات التواصل الاجتماعي ليست مجرد وسائط للتواصل فقط؛ وإنما لها أبعاد اجتماعية، وسياسية، وثقافية، حاسمة في صناعة قيم المواطنة.

تولي الدراسات الاجتماعية والإنسانية في السنوات الأخيرة اهتماما بالغا لقضية المواطنة، بعد أن تعقدت أبعادها السياسية، والدستورية، والهوياتية في المنطقة العربية، خاصة في ظل الاضطرابات والأزمات التي تشهدها عديد الدول العربية، وما تمر به من تحولات انتقالية فارقة، وفي ظل ثورة الإعلام والوسائط الاجتماعية، بتأثيراتها الايجابية والسلبية، وهو ما يدفعنا إلى الاهتمام بهذا الموضوع من خلال محاولة ربط علاقة شبكات التواصل الاجتماعي بصناعة قيم المواطنة، وسنتطرق في البداية إلى ماهية كل من شبكات التواصل الاجتماعي والمواطنة.

أولا– ماهية شبكات التواصل الاجتماعي والمواطنة

تعتبر شبكات التواصل الاجتماعي أبرز المنجزات العصرية للتطور العلمي والتقني، بينما تعتبر المواطنة في الفترة الراهنة من القضايا المحورية في مسار التحولات الديمقراطية وبناء الدولة المدنية.

1– مفهوم شبكات التواصل الاجتماعي:

يعتبر مفهوم شبكات التواصل الاجتماعي"social media " أو مصطلح "social net-work من أكثر المفاهيم رواجا وانتشارا في حقل العلوم الاجتماعية، وبالرغم من الاستخدام الواسع للمفهوم إلا أنه لا يلقى إجماعا في الحقل الأكاديمي حول مدلولاته، ويبقى من المفاهيم الجدلية بين المختصين نظرا لتعدد مداخل دراسته.

تعرف شبكات التواصل الاجتماعي على أنها بأنها منظومة من الشبكات الإلكترونية تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي الكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها [1].

فهي عبارة عن برمجيات معلوماتية، تم تصميمها وهندستها في شكل أدوات، وبرامج، وتطبيقات، تفعل عبر الانترنت، وتسمح بتواصل الأفراد والجماعات والمؤسسات، وتفاعلها في أي وقت، ومن أي مكان، وقد عرفت تطورات كمية وكيفية متسارعة، حتى أصبحت عبارة عن نسيج متشابك لعديد الوسائط المتنوعة.

ظهرت شبكات التواصل الاجتماعي "كالفيس بوك Facebook وتويتر Twitter اليوتيوب Youtube" والمدونات الالكترونية مع الجيل الثاني من الويب Web 2.0، أو ما سمي بالويب التفاعلي، فقد عرف تطور الشبكة العنكبوتية ثورة تقنية كبرى بالانتقال من جيل الويب 1.0 الى الجيل الثاني Web 2.0 .

فجيل الويب 1.0 كان عبارة عن مواقع للقراءة فقط يتضمن صفحات html ثابتة (static) غير تفاعلية ونادرًا ما يتم تحديثها (محتوى ثابت). بعد ذلك جاءت الويب 1.5، وهي عبارة عن ''الويب الديناميكية ''والتي تكون فيها صفحات شبكة الانترنت تُنشأ فورًا من محتويات قواعد البيانات باستخدام نظم إدارة المحتويات، أما الجيل الثاني من الويب Web 2.0 فهو شبكة اجتماعية ذات اعتمادية اكبر على المستخدمين، وفيه يستطيع الفرد عبر مختلف التطبيقات التأثير في المحتوى المعروض فالعملية التفاعلية تكون فى اتجاهين وليس فى اتجاه واحد كما في جيل الويب السابق[1].

وتعد سنوات التسعينات الأولى من القرن الماضي هي البداية الفعلية لبروز مواقع التواصل الاجتماعية أو التي تسمى شبكات التواصل الاجتماعي على الإنترنت(Social Networks)، حيث صمم (راندي كونرادز) موقعاً اجتماعياً للتواصل مع أصدقائه وزملائه في الدراسة في بداية عام (1995) وأطلق عليه أسم (Classmates.com)، وبهذا الحدث سجل أول موقع تواصل إلكتروني افتراضي.

ويعتبر جيل الويب 2.0 مرحلة انتقالية هامة في تاريخ شبكة الويب والتي تتمثل في الانتقال من مفهوم المواقع التقليدية التي يعتمد محتواها الموضوعي على ما تتيحه الجهة القائمة على إدارة الموقع، إلى مفهوم التطبيقات المتكاملة التي توفر مجمعة من الخدمات التفاعلية في متناول المستخدم [2].

---

[1]– راضي زاهر، **استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي**، مجلة التربية. العدد 15، عمان: جامعة عمان الأهلية، 2003، ص 23.

– تامر الملاح، **تطور أجيال الويب وأثرها على التعليم**، شوهد يوم 25جانفي 2019، على الموقع:[1]
file:///users/tamer2011-com/aboutus

– أحمد فرج، **تقنيات الويب 2.0 وتوظيف تطبيقاتها في مؤسسات المعلومات**، مجلة أعلم عدد7، أكتوبر2010، ص5. [2]

عرف مجال الوسائط الاجتماعية ومواقع التواصل ثورة كبيرة في بداية الألفية الثالثة بظهور موجة جديدة، متنوعة كما وكيفا لهذه الوسائط، وهي مجموعة مترابطة من المواقع والشبكات والتطبيقات التي ظهرت مع الجيل الثاني لمواقع الويب في فضاء الانترنت المفتوح، وكان من أبرزها موقع فيسبوك (FaceBook) ، وموقع تويتر (Twitter) ، وموقع لينكدإن(linkedin) واتس اب (WhatsApp ، فايبر Viber والمدونات الإلكترونية (Weblogs) .

يعتمد الويب 2.0 على الكثير من التطبيقات التقنيية على غرار شبكات التواصل الاجتماعي، والمدونات (Blogs) ومنتديات الحوار، والويكي (Wiki)، والملقمات (RSS). فالمدونة هي عبارة عن صفحة ويب تظهر عليها تدوينات (مدخلات) مؤرخة ومرتبة ترتيباً زمنياً تصاعدياً، تصاحبها آلية لأرشفة المدخلات القديمة، تسمح بالمشاركة والتفاعل بين مؤلفها وقارئها، أما الويكي فهو برنامج يتيح للمستفيدين إنشاء صفحات الويب وتحريرها وربطها بسهولة، وهو يستخدم عادة لإنشاء مواقع الويب التعاونية وتعد الموسوعة الحرة العالمية Wikipediaمن أشهر مواقع الويكى الموجودة على الويب[3].

أما ملقمات (RSS) هى اختصار لـ Really Simple Syndication ، التى تعنى النشر المتزامن البسيط، وهى تقنية تسمح للفرد بتلقي معلومات ترسل إليه بشكل منتظم، بدون الحاجة لزيارة مواقع الإنترنت التى تقدم هذه المعلومات، حيث تزود المستخدم برابط يوصله إلى المعلومات وتحديثاتها.

وبالاضافة إلى هذه التقنيات هناك تطبيقات وتقنيات أخرى؛ كمنتديات الحوار (Discussion Forums) المصممة لإدارة الحوار بين أعضاء المنتدى المشتركين وكذا زوار المنتدى، الذين بإمكانهم إضافة محتويات جديدة للمنتدى، أما تطبيقات وسائط التواصل الاجتماعي فقد عرفت تنوعا كبيرا وانتشارا مذهلا، أدى إلى انخراط هائل للأفراد في هذه الشبكات وكثافة استخدامها، للتواصل وتبادل المعلومات والآراء وتقديم مختلف الخدمات ، والمشاركة في الأحداث اليومية بالصوت والصورة والرسائل الفورية، بالنظر الى المميزات والخصائص التي تتميز بها هذه الشبكات.

تتسم هذه الشبكات الاجتماعية بعناصر مثيرة وجاذبة، كالفورية (Immediacy) ، والتفاعلية (Interactivity)، وتعدد الوسائط (Multimedia)، والتحديث (Updating) ، والمرونة، وسهولة الاستخدام[1]، ما مكنها من اختزال المكان واختصار الزمان وجعلها لغة العصر، التي مكنت الأفراد من المشاركة في بناء العالم الجديد[2].

تشير الدراسات إلى أن عدد المستخدمين النشطاء لفيس بوك شهريا 1.55 مليار مستخدم، يقضون ما مجموعه 52 دقيقة يوميا من وقتهم، ويشكلون 47بالمائة من إجمالي مستخدمي الإنترنت، ويضغطون على زر لايك 5.5 مليار مرة يوميا، وسجل الموقع 5 مليارات مشاهدة يوميا لتسجيلات الفيديو، أما عدد مستخدمي Whatsapp فيبلغ الآن مليار شخص، والماسنجر800 مليون شهريا، ويجري إرسال 52 مليار رسالة و 257 مليون فيديو عبر"واتسآب "يوميا، وتعدى موقع تويتر دور التواصل الاجتماعي ليصبح الموقع الأول

---

(3)– ياسر يوسف عبد المعطي،ناصر متعب الخرينج، **رحلة المكتبات من الويب1.0الى الويب4.0**، مجلة إعلم، العدد16، جانفي 2016، ص ص177-178.

(1) Thierry Wellhoff **Tout ce que vous aveztoujour voulu savoirsur les media sociaux**, l'agence Wellcom, Paris, 2012,p8.

(2)– خالد حنفي علي، **أي دور للشبكات في تغيير عالمنا؟**، مجلة السياسة الدولية(ملحق اتجاهات نظرية)، مركز الأهرام للنشر، القاهرة، العدد202أكتوبر2015، ص3.

للمشاهير ورجال الأعمال والسياسيين،أما تطبيق الانستغرام الذي بدأ في عام 2010 نمى بقوة، بحيث تشير التقديرات إلى أنه في عام2013 سجل مليون مستخدم، ونحو أربعة مليارات عملية تحميل الصور وعرضها[3].

أما تطبيق +Google فهو واحد من شبكات التواصل الاجتماعي الذي يضاف إلى خدمات Google الأخرى، كالبحث على الشبكة العالمية، و Gmail ، ويوتيوب، يتضمن +Google ميزات الوسائط الاجتماعية كالتعليقات، صور ومشاركة المقاطع الصوتية والفلمية، ودردشة الفيديو، وما إلى ذلك من حلقات التواصل الاجتماعي.

وقد أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي هي لغة الأفراد العالمية اليومية، حيث ارتبطت بكل التفاعلات والقضايا التي تهمهم. وامتدت في النسيج الاجتماعي لتشكل أهم الأسس في مفاهيم ومضامين السلوك الاجتماعي للأفراد.

2- ماهية المواطنة:

يشير مصطلح المواطنة (La citoyenneté) أو (Citizenship) الى المساهمة في حكم دولة ما على نحو مباشر أو غير مباشر، كما يستخدم أحياناً للدلالة على العملية أو الحالة التي يعد الفرد بمقتضاها مواطناً لمجرد أنه يعيش في رحاب دولة معينة، أو ينتمي إليها ويخلص لها ؛ ومن ثم يحظى بالحماية[1].

تمثل المواطنة أحد ركائز الديمقراطية فهي الرابط الأساسي بين المجتمع والدولة، حيث تمثل صفة المواطن التي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية، وتتميز المواطنة بنوع خاص من ولاء المواطن لوطنه وخدمته في أوقات الحرب والسلم لتحقيق الأهداف التي يصبو إليها الجميع [2]، فالمواطنة ليست خيارا، أو قرار يتخذ، أو منحة تعطى، بل هي عملية مستمرة؛ وخبرة تراكمية، تؤسس للحقوق والواجبات، وقواعد التفاعل، وأسس العلاقات، فهي مشروع بناء يترقى من خلال ثمرات الكفاح المتواصل في وجه الأعداء المتربصين بالوطن [3].

وهذا ما يتطلب تجنيدا مستمرا لكافة الأفراد المواطنين، وتوظيفهم لكل قدراتهم ومهاراتهم، وتنميتها خدمة للصالح العام، وترقية للمكاسب الوطنية والثوابت الأساسية، وتسخير الإمكانيات والأدوات لمواجهة كل التهديدات والأخطار التي تضر بالمصالح الحيوية العليا للوطن، وتعد شبكات التواصل الاجتماعي من بين هذه الأدوات والوسائط التي يمكن توظيفها، واستغلالها لتحقيق المواطنة الفعالة، وترقية السلوك الاجتماعي والحس الهوياتي لتفعيل الانتماء الفعال والمثمر خدمة للصالح العام.

يختلف مفهوم المواطنة من الفكر الغربي إلى المنظور الإسلامي، ويختلف أيضا من أيديولوجية إلى أخرى، لكن القاسم المشترك بين مختلف المنظورات يرى أن المواطنة هي أساس الترابط الاجتماعي[4].

تتضمن المواطنة كافة ارتباطات وتفاعلات وعلاقات الفرد بوطنه على كافة المستويات الجغرافية والاجتماعية والسياسية والثقافية، داخل وخارج جغرافية هذا الوطن، والوطنية الفعلية للفرد تظهر من خلال الالتزام بمبادئ وأسس ومعايير وقيم وتاريخ وعقائد هذا الوطن ورموزه وأفراد مجتمعه والاهتمام بقضاياه والانخراط في مسارات بناءه والدفاع عن ثوابته ومكتسباته، والمساهمة الفعالة في ترقية مصالحه

---

(3)- عبد الله بن محمد بخيت، **دور شبكات التواصل الاجتماعي في ترسيخ قيم المواطنة من وجهة نظر الشباب الجامعي العُماني**، جامعة الشرق الأوسط، سلطنة عمان، مذكرة ماجستير كلية الاعلام2017، ص ص19-26.

(1)- جيدور حاج بشير، **أثر الثورة الرقمية والاستخدام المكثف لشبكات التواصل الاجتماعي في رسم الصورة الجديدة لمفهوم المواطنة**: من المواطن العادي إلى المواطن الرقمي، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد15، جوان2016، ص699.

(2)- شليغم غنية، **المجتمع المدني والمواطنة في الجزائر الواقع والمعوقات**، جامعة باتنة، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية العدد8، جانفي2016، ص160.

(3) - سامح فوزي، **المـــــواطنة**، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، 2007، ص66.

(4)- دومينيك شنابر وكريستيان باشولييه، **ما المواطنة؟**، ترجمة: سونيا محمود مجا، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016، ص11 .

ومكانته بين سائر الأمم، والتسلح الكامل في مواجهة ما يهدد بقاءه، فالوطنية كمحور أساسي لتثبيت مبادئ وأسس وقيم المواطنة تقتضي تعميق الارتباط بأسس وفاعلية العقد الاجتماعي، إلى درجة الارتباط الروحي للأفراد من ناحية الحقوق وكذلك أداء الواجبات والأهم هو المساواة في ذلك بين كافة المواطنين الوطنيين.

3)– شبكات التواصل الاجتماعي والمفاهيم الجديدة للمواطنة:

أثرت هذه الوسائط على الكثير من المفاهيم وأجبرت الباحثين والمنظرين على إعادة تعريف الحدود الإقليمية وعناصر الدولة، ومكونات المجتمع، وأسس المواطنة وثوابت الهوية الوطنية، والحدود الفاصلة بين المجال العالمي والمجال الوطني، وحدود التداخل بين ما هو واقعي وما هو افتراضي، وهذا ما دفع بيري بارلو (John Perry Barlow) إلى إعلان مشروع استقلال عالم جديد بلا حدود داخل فضاء الانترنت في الفضاء الافتراضي، ليؤسس بذلك للمجتمع الالكتروني، والمواطنة الافتراضية الالكترونية، وميلاد ما يمكن تسميته بسلطة الحكومة الالكترونية (Cybergovernment).

يرى الكثير من المنظرين كماكلوهان وايركسون أن المجتمع الافتراضي(Cyber Society) يعنى الحوار والتواصل والتفاعل المرتبط بالكومبيوتر والمبني على التفاعل بين المتصلين والمستخدمين[1].

ينبع هذا المفهوم من فكرة ماكلوهان عن القرية العالمية والمتولدة عن زوال المكان واختصار الزمان، فقد برزت كيانات إنسانية جديدة عابرة للحدود، مكنتها الوسائط الاجتماعية من الترابط والاندماج فيما بينها، والتوافق في الأفكار والتقارب في الأطروحات، وتشبيك الوعي اتجاه الكير من القضايا والتحولات العالمية التي لا تختص بمنطقة جغرافية محددة، أو ثقافة معينة، أو مجتمعات أو مجموعة حصرية، وكل ما يجمعها هو بناء فكري افتراضي، وقيم عولمية جديدة، وتدفقات معلوماتية هائلة، أدت في النهاية إلى مرونة التفاعلات الآنية باستمرار.

وعليه أصبحت ماهية المواطنة الجديدة تنصرف الى مفهوم المواطنة الرقمي، والتي تعني"مجموعة القواعد والضوابط والمعايير والأعراف والأفكار والمبادئ المتبعة في الاستخدام الأمثل للتكنولوجيا ، والتي يحتاجها المواطنون صغارا وكبارا من أجل المساهمة في رقي الوطن ... فهي توجيه نحو منافع التقنيات الحديثة، وحماية من أخطارها[2]. فالمواطنة الرقمية هنا تعني عملية تعلم وتحري مستمر للاستثمار في إيجابيات الشبكات الاجتماعية الجديدة والعمل على التحرر من سلبياتها وتفادي مخاطرها.

يقتضي الأمر من الفرد الصالح أن يعي في هذا السياق ماله وما عليه ضمن السياقين الاجتماعيين: الواقعي والافتراضي، باعتباره جزء من المنظومتين لا يكتمل بناءهما الا بمساهمته ودوره الفعال في مجمل العملية الاندماجية. وهذا من أجل تحقيق المفهوم الواسع للمواطنة الفعالة، فأحد أهم أبعاد المواطنة يتمثل في المشاركة في الحياة العامة وعادة ما يشار إلى ذلك بالمواطنة الفعالة [3].

دفعت الطفرة الهائلة لتأثيرات شبكات التواصل الاجتماعي إلى إعادة تعريف ماهية المواطنة، ومرتكزاتها وقيمها الجديدة، من خلال فضاء تواصلي مرن وفعال، يحقق المساواة وتكافؤ الفرص في التعبير عن الآراء والاقتراحات والمواقف، بخصوص أكثر القضايا الجوهرية الحاسمة في بناء قيم المواطنة، بعيدا عن الفوارق الواقعية واستعصاءات التواصل والتفاعل العادي.

ثانيا– وظائف شبكات التواصل الاجتماعي وأبعادها

[1] – عبد الله بن محمد بخيت، مرجع سبق ذكره، ص18.

[2] – جيدور حاج بشير، مرجع سبق ذكره، ص704.

[3] – **سامح فوزي، مرجع سبق ذكره، ص11.**

تعد شبكات التواصل الاجتماعي من أهم ابتكارات الثورة التكنولوجية الرقمية، وقد صممت في الأساس هذه الشبكات لتكون وسائط للتواصل وربط الأفراد ونشر المعلومة، لكن مرونة استخدامها وسرعة انتشاراها أكسبها أبعادا اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية توازي التحولات الثورية الكبرى، زيادة على وظائفها الرئيسية.

1- وظائف شبكات التواصل الاجتماعي:

بعيدا عن الوظائف الكلاسيكية لهذه الشبكات؛ فإنها لم تعد مجرد وسائل اتصال وتواصل، بل تعدت ذلك إلى أداء وظائف حيوية في الكثير من القضايا والتفاعلات.

تشكيل الرأي العام: تعمل الشبكات الاجتماعية من مختلف الوسائط على تشكيل رأي عام داخل المجتمع الالكتروني الافتراضي، وهو ما يدفع المستخدم إلى تشكيل رأيه، ووعيه، وبناء منظومته الفكرية والقيمية من خلال القيم الجديدة السائدة داخل الرأي العام في الفضاء الافتراضي. وأظهرت الكثير من التحولات قدرة المؤسسات وصناع القرار ومدراء المؤسسات على توظيفهم للشبكات الاجتماعية في تشكيل الرأي العامّ، وتوجيهه، والتحكم فيه[1].

فهناك عدة مجالات حيوية تستطيع مختلف المؤسسات وصناع القرار توظيف هذه الوسائط الاجتماعية المتطورة، واستثمارها في تنمية وتطوير قدرات الأفراد وتأهيلهم على مستويات عالية، والرفع من فعاليتهم في الأنساق العامة للمجتمع، من المجال التعليمي إلى التوظيف الجمعوي والتعبوي للأفراد في عمليات التنشئة والتنمية الشاملة.

أ)- التوظيف التعليمي: أحدثت هذه الوسائط ثورة في المناهج التعليمية وطرق البحث، فقد تحولت إلى منصات تعليمية ساهمت في الرفع من قدرات ومهارات الأفراد، والاطلاع على مختلف البرامج والمنظومات التعليمية عالميا.

ب)- صناعة دوائر الهوية والانتماء: تدفع شبكات التواصل الاجتماعي الأفراد إلى تقمص عدة هويات غير الهويات الواقعية لهم، مما يجعلهم يتمظهرون في سلوكيات مختلفة للبناء الهوياتي وسلوك المواطنة الفعلية، ما ينجر عنه استدامة هذا التمظهر الهوياتي والسلوك اللامواطني، كقيم جديدة لهوية الكترونية افتراضية تصعب من مسارات ترقية قيم المواطنة وحس الانتماء والارتباط الهوياتي.

ج)- التوظيف السياسي لشبكات التواصل: تستخدم الوسائط الاجتماعية في السياق السياسي في الحملات الانتخابية وشرح برامج المترشحين وحشد التأييد والتعاطف لهم، فتؤدي هذه الشبكات الوظيفة التعبوية للسياسيين والحكومات والأنظمة، وإنجاز ما يعرف بالديمقراطية الرقمية في دول التعددية الحزبية والترسيخ الديمقراطي.

وفي الحالة العربية؛ أظهرت انتفاضات الربيع العربي وما أعقبها صعوبة التحكم السلطوي في التوظيف والانخراط السياسي لمستخدمي هذه الشبكات، فكانت لها تأثيرات حاسمة في مختلف مراحل الانتفاضات الشعبية وما تلاها من انجاز العملية السياسية خصوصا في تونس ومصر[1]، وبغض النظر عن مدى ديمقراطية أو سلطوية النظام الحاكم، فإن الأنظمة السياسية استخدمت هذه الشبكات للقيام بالعديد من وظائف الأجهزة الحكومية [2].

---

[1]- رأفت مهند عبد الرزاق، **دور مواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الوعي السياسي**، جامعة البترا الأردنية، رسالة ماجيستير في الإعلام، 2013، ص48 -50.

[1]- رانيا مكرم، **أفول تدريجي: التوظيف السياسي لمواقع التواصل الاجتماعي**، المركز الإقليمي للدراسات الإستراتيجية بالقاهرة، العدد9، أوت2014، ص3-5.

[2]- ابتسام علي حسن، **فرص وقيود الاطراف المتنازعة على المجال العام السيبراني**، السياسة الدولية(ملحق اتجاهات نظرية)، مركز الأهرام للنشر، العدد 208 مجلد 52، أفريل2017، ص13.

د)- تشكيل الاتجاهات الأيديولوجية والفكرية:

يجد كل فرد في هذا الفضاء الواسع المجموعة التي تتوافق مع أرائه وأفكاره وأطروحاته، ويشعر بالانتماء لها، وأحيانا التعصب لاتجاهاتها والدفاع عنها، ومحاولة حشد الأغلبية لها داخل الفضاء الافتراضي ومن خلاله على أرض الواقع، وهذا ما يولد قيم جديدة موازية لقيم الانتماء الوطني والحس الهوياتي والوعي الاجتماعي الجماعي، وبدلا من ذلك تمزق هذه القيم الجديدة ارتباطات الأفراد بالكيانات الوطنية لصالح كيانات جديدة لا حدود لها، حيث يجد الفرد تقديرا لذاته وأفكاره أكثر من الفضاءات الاجتماعية الواقعية.

هـ)- الوظيفة الإعلامية:

حولت هذه الوسائط العالم إلى نسيج متداخل من الشبكات المترابطة والمعقدة، وجعلت الوظيفة الإخبارية وتداول المعلومة أمرا بالغ السرعة والسهولة،حول المدونين والمستخدمين إلى إعلاميين بشكل غير محدود.

وقد كان للتحولات السياسية من الثورات الملونة في أوروبا الشرقية إلى الثورة الخضراء في إيران وصولا إلى انتفاضات الربيع العربي؛ كان لها الأثر البالغ في تحول شبكات التواصل الاجتماعي من مجرد منصات للتواصل وأداء الوظائف الإعلامية والتعبوية العادية إلى مراكز تأثير حاسمة، ذات أبعاد متعددة في مختلف التفاعلات.

2)- أبعاد شبكات التواصل الاجتماعي:

شكلت الشبكات الاجتماعية مجتمعا افتراضيا مبنيا على تعدد الوسائط السمعية والمرئية والتصويرية والنصية المتشابكة على كافة المستويات التي تؤهل الفرد لأن يكون مواطنا رقميا في هذا العالم الافتراضي يعبر عن انتماءه من خلال القيم الجديدة لهذه الوسائط. ويرى البعض أن هذه الشبكات والوسائط تعمل على إدماج وترابط الأفراد من مختلف الثقافات، والأوطان والأديان، بغية توليد قيم كونية جديدة، لمواطنة عالمية غير محدودة، وهي بذلك تسعى للقضاء على التمايزات الجوهرية بين الحضارات، والشعوب، والأديان، والفوارق الأساسية بين تنازع الإرادات الوطنية، ما يعني أن هذه الوظائف مرتبطة بتحقيق أبعاد كثيرة .

تسمح هذه الشبكات بترقية قيم المواطنة بكل أبعادها، التي تحقق المواطنة الفعالة [1].

ففي المجال السياسي؛ تسمح الشبكات للشباب بالترويج للبرامج السياسية والنضال من أجل نشر قيم الديمقراطية والتمدن، والتعريف بأسس دولة الحق والقانون، والسماح للشباب بالتعبير عن شعورهم بالانتماء الوطني والاعتزاز بالرموز والقدوات التاريخية والوطنية، من خلال النشر والتعليق وتبادل الآراء والترويج للرموز والقدوات والمآثر التاريخية، والحث على المساواة ونبذ التعصب والكراهية والتطرف.

وفي المجال الاجتماعي؛ تمكن الشبكات الاجتماعية من ترقية قيم العمل التطوعي، وبث روح التضامن والتساند والتكافل الاجتماعي، وحسن الجوار، والمشاركة في المبادرات الخيرية والمشاريع الاجتماعية الهادفة، وحملات التوعية وتحسين السلوك الاجتماعي وتربية النشأ والمحافظة على الآداب والأخلاق العامة.

أما في المجال الثقافي؛ تمكن وسائط التواصل الاجتماعي الأفراد من تحقيق بعد أساسي للمواطنة في المجال الثقافي والحضاري، حيث تسمح لهم بالتعريف بالآثار والتحف الفنية والمواقع التاريخية والسياحية والتشهير بها، والترويج للمناطق الطبيعية والأثرية، والتعريف بالتقاليد والأعراف وما تزخر به من تراث مادي ومعنوي، لترقية الحس الوطني وإعلاء لقيم الانتماء والاعتزاز وكل ما ينمي القيم العليا للمواطنة.

إلا أن دراسات أخرى تركز على الأبعاد السلبية العميقة لهذه الشبكات وترى أن أبعادها القيمية العميقة تحمل مشروعا لعولمة المواطنة، ومحو الفوارق الثقافية الخاصة، وطمس الهويات وخصوصيات الأمم[2].

---

[1] - سامح فوزي، مرجع سبق ذكره، ص66.

ومثلما تعمل هذه الشبكات على تحويل المستخدم من متلقي للمعلومات والأفكار إلى منتج لها، فإنها تعمل أيضا على تحويل منتسبيها من معتنقي قيم وأفكار إلى منتجين لها، وهذا ما يؤسس لأبعاد متمايزة لما يسمى بالمواطنة الافتراضية، والمجتمع الافتراضي، وما يمكن أن يفرزه من تأثيرات جديدة على قيم المواطنة للأفراد.

ثالثا– الأدوار المتغيرة لشبكات التواصل الاجتماعي في صناعة قيم المواطنة

أضحت شبكات التواصل الاجتماعي أدوات رئيسية لبناء منظومة الأفكار لدى الأفراد، وترقية وعيهم اتجاه المنظومات الوطنية والدولية على كافة المستويات، ولم تعد هذه الشبكات مجرد عالم افتراضي للتواصل؛ فهي شبكات مترابطة ومعقدة قادرة على تمكين الأفراد من صنع الفارق في التفاعلات الاجتماعية والسياسية، وتغيير الواقع والتأثير في قضاياه.

وتعتبر هذه الوسائط روافد رئيسية لبناء وترقية قيم المواطنة، في مرحلة انتقالية فاصلة تشهد ثورة تكنولوجية ومعلوماتية تتجاوز أطر وبنى المنظومات التقليدية، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، لا يمكن تجاهل تأثيراتها ومضاعفاتها على كافة المستويات، أو استبعاد دورها المحوري في التفاعلات الاجتماعية المعاصرة، بأبعادها الجهوية والوطنية والعالمية، في عصر تكثفت فيه عمليات العولمة وتشابكاتها البناءة والهدامة، وتعقدت ارتباطاتها المتبادلة، فهي تدي الكثير من الأدوار المتغيرة، والمتناقضة في الكثير من الأحيان مابين إيجابياتها وسلبياتها.

لا تمثل هذه الشبكات مواقع للتواصل وتقديم الخدمات وتبادل الأفكار فقط بل أنها تتعامل مع كافة القضايا بتفاعل مكثف وعميق يسمح لجميع الأفراد بتقديم أرائهم وأفكارهم واقتراحاتهم حول المشاكل والقضايا مهما كانت مستوياتها.

–تقدم الشبكات الاجتماعية عديد الخدمات وفرص التواصل المثمر والبناء، وفضاءات التفاعل لمعالجة المعضلات والمشاكل التي تنخر قيم وثوابت الأوطان، ويمكن تسخير هذه الفضاءات لتعزيز الاندماج الاجتماعي والهوياتي ورأب الصدع بين المكونات الاجتماعية، وردم هوة الفوارق العرقية والجهوية من خلال التواصل المباشر، فهي وسائط مساعدة على خلق بيئات التواصل ومناخ التشارك والتقارب، ومعالجة الاحتقانات الداخلية بين مختلف الطبقات والمجموعات المكونة للمجتمع.

تمكن الأفراد من طرح مشكلاتهم والمعضلات التي يواجهونها، ومن ثمة محاولة معالجتها في إطار تفاعلي وطني يمكنهم من إعادة بناء الشعور الوطني وقيم الانتماء، وتثبيت مبادئ المواطنة التضامنية، وهو ما يسمح بترقية قيم المواطنة والحس الوطني للأفراد، وإعادة الاعتبار للأولويات الوطنية والمصلحة العامة على حساب الفردانية الهدامة

تظهر الكثير من النماذج الناجحة للأفراد الذين استغلوا الوجه الايجابي من هذه الوسائط، في الرفع من قيم الوعي وتنمية القدرات والمؤهلات الفردية في كافة المجالات، خدمة للصالح العام والمقاصد الوطنية، وتثبيت منظومة القيم وأسس الهوية الوطنية بكل مستوياتها التاريخية والثقافية والدينية والاجتماعية وصيانة رموزها وقدواتها في إطار التفاعل الحضاري والثقافي المتعدد الأوجه، في سياق العولمة والتحولات الاجتماعية والتكنولوجية العابرة للحدود.

تحسين سلوك المواطنة والتمدن، إذ تسمح الوسائط الاجتماعية للأفراد بمعالجة المشاكل والمعضلات الاجتماعية في إطار هادئ وبناء، ومن خلال المعالجة المثمرة على أساس التضامن والتساند الاجتماعي، وتشريح الظواهر من كل جوانبها، لوضع علاجات توافقية تتعامل مع جذور المعضلات بإيجابية.

---

(2)– عثمان عامر، **المواطنة في الفكر الغربي المعاصر:دراسة نقدية من منظور إسلامي**، مجلة جامعة دمشق–المجلد التاسع عشر –العدد الأول 2003، ص225.

-تحقيق التقارب بين أفكار الشباب، وبناء التفاهمات بشأن النقاط الخلافية، خاصة في مجتمعات التعدد العرقي الاثني والقبلي، وهو ما يسمح بمعالجة مقدمات الصراع الاجتماعي، وبذرات التطرف والعنف في مولدها، لصالح الوحدة الوطنية وتثبيت بيئة الاستقرار والحوار، وبالتالي تمنح الفواعل الوطنية فرصة كبيرة لترسيخ قيم الحوار والتفاعل المثمر، وتثبيت الحلول الجماعية السلمية والتضامنية كمقاربة لمعالجة كافة المعضلات والمشكلات الوطنية على كافة الأصعدة، وهذا ما يعد أكبر رصيدة لتقوية الوحدة الوطنية، وترقية مبادئ المواطنة، وتعظيم مكاسب الوعي الجماعي لتعزيز الانتماء والشعور الوطني، بناء على الرصيد القيمي المحقق من خلال مسيرة الإجماع الوطني وعملية المواطنة الفعالة.

استغل الشباب شبكات التواصل لإنشاء صفحات تقوم على قواعد حب الوطن للرقي بالمواطن داخل مجموعته الوطنية، ما يجعل المستخدمين، المنتسبين عبر هذه المواقع، و الصفحات والمجموعات يتشاركون فيما بينهم مجموعة القيم والمعارف التي تبنتها صفحاتهم ودافعت عنها، حيث يصبح هؤلاء وقد نمت بينهم مشاعر المواطنة بشكلها الالكتروني ، وزرعت بينهم قيم الحمية والذود عن الوطن، ونكران الذات، والعمل الجماعي من أجل الصالح العام في الدولة[1].

هذا ما يبين أن الوسائط الاجتماعية مختبر فعلي لاكتشاف ودراسة اتجاهات الشباب، وتوجهاته الفكرية والاجتماعية والثقافية، حيث تسمح هذه الوسائط من استقراء أهم القيم والعوامل الحاسمة والمثمرة في بناء شخصية الفرد، ومكونات ثقافته وتفضيلاته، من أجل وضع استراتيجية متكاملة لدمج هذه الوسائط كآليات مكملة لتأهيل قدرات الأفراد، والرفع من درجة الحس الوطني، وتنمية الوعي الجماعي بقيم المواطنة وثوابت الهوية.

يمكن لهذه الوسائط أن تقضي على الصور النمطية للأفراد اتجاه الآخر خاصة في مجتمعات التعدد العرقي، وبذلك توفر فضاء للتقارب وبناء الثقافات الوطنية، وتحقيق الاندماج المجتمعي من خلال المجتمع الشبكي[2]، فهناك فرص كبرى تتيحها الشبكات الاجتماعية لبناء ثقافة الحوار والتفاهم في المجتمعات المتأزمة وفي مجتمعات التعدد، تستطيع من خلالها الفواعل الوطنية والشركاء الاجتماعيين التقليل من احتمالات العنف، والتعصب، والاتجاهات العنصرية، أكثر منها في الميادين العامة والفضاءات المباشرة للحوار ومختلف العمليات السياسية والاجتماعية.

تساهم شبكات التواصل الاجتماعي في ترقية قيم المواطنة اللازمة لتحقيق مناخ المساواة والعدالة وحقوق الإنسان، فهي أدوات رئيسية يمكن توظيفها لتحقيق الأمن الوقائي، اجتماعيا وسياسيا وثقافيا واقتصاديا، بالمشاركة والابلاغ، والمراقبة، والمرافقة المستمرة للجهات الوصية، والمتابعة الفعلية البناءة لمجمل القضايا، والمشكلات التي تواجه المواطنين[3].

وعلى أساس ما تقدم من أدوار يمكن تحويل الشبكات الاجتماعية إلى منصات حية لتثبيت مقاربة الحوار الشامل والتفاعل المباشر، وتبادل الأفكار، كمنظومة شاملة لتعزيز الانتماء، وتحقيق المساواة الوطنية، في إطار عقد اجتماعي يعلي من شأن قيم المواطنة، وأولوية الصالح العام والمقاصد الوطنية، ويمكن الأفراد من المشاركة الواسعة في خطط وسياسات التنمية والمساهمة بالأفكار والاقتراحات والرؤى ومختلف التصورات حيث تمكن هذه المنصات من اكتشاف النماذج الناجحة للأفراد لتعميمها والاستفادة منها واستحضار التجارب المميزة لمقاربة أفكارها خدمة لتوظيف ايجابياتها في خطط التنمية الوطنية، بمشاركة جميع المكونات الاجتماعية الوطنية.

---

[1]- جيدور حاج بشير، مرجع سبق ذكره، ص708.

[2]- عبد الله بن محمد بخيت، مرجع سبق ذكره، ص110.

[3]- عبد الله بن سعيد بن محمد، **قيم المواطنة لدى الشباب وإسهامها في تعزيز الأمن الوقائي**، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2011،ص ص104-109.

صاحب تطور هذه الشبكات واتساع نطاق استخدامها الكثير من المخاوف على كافة المستويات، نظرا للأهمية والدور الذي اكتسبته في صناعة الكثير من التفاعلات، والتحكم في التحولات السياسية والاجتماعية، وبذلك طرح الجانب السلبي لأدوار هذه الشبكات، إلى درجة تغليب مساوئها على ايجابياتها، في ظل التهديدات والأخطار التي أفرزتها في الترويج للدعايات المغرضة، وتحفيز اتجاهات التفكك والعنف، والتمزيق الهوياتي، والصراعات العرقية والاجتماعية، ودعم خطابات التطرف والصراعات المذهبية، وبذلك ظهرت كعوامل هدم وأدوات تفكيك اجتماعي وسياسي أيضا، تستهدف البناء الفكري والكيان القيمي الوطني للشباب في المقام الأول.

من سلبياتها ومخاطرها وتوظيفها في أدوار مدمرة للقيم الوطنية؛ أنها قللت من أهمية الروابط الاجتماعية، وفككت الكثير من البناءات، وأدت إلى تمييع أسس المواطنة والهوية، والتقليل من أهمية الولاء والانتماء في مقابل تعزيز الارتباط العالمي، وتمزيق الارتباطات الهوياتية الوطنية، والإعلاء من أهمية وقيمة الانتماء العالمي، ومناصرة الفردانية والحريات الشخصية على حساب الانتماء الوطني والقيم الجماعية، وبذلك فهي تؤسس للتمزيق الهوياتي والانشطار القيمي وتحفيز التناقضات والتصادمات المجتمعية.

بعد أن أثرت على أفكار الشباب وتوجهاتهم، أصبحت الوسائط الاجتماعية أسلحة جديدة في يد الشبكات الإرهابية والاجرامية باستخدامها في الوظائف والأدوار الإرهابية، وظهور ما يسمى بالإرهاب الشبكي(SYBERTERRISM) حيث تدير الشباب عن بعد، بواسطة شبكات التواصل لتنفيذ عمليات مسلحة، والمشاركة في مختلف الأعمال الإجرامية، كما أنها مكنتهم من تدريب وتكوين وتوجيه الشباب ورفع قدراتهم الإجرامية بواسطة تلك الشبكات[1].

أحدثت هذه الوسائط منذ ظهورها حالة من الاهتزاز القيمي لدى الأفراد، ومع تعدد الوسائط وعسر التحولات الاجتماعية والسياسية في الدول العربية تضاعف تأثير موجات الاهتزاز القيمي، وأدى ذلك إلى تمزيق ارتباطات الأفراد برمزياتهم وقدواتهم، وتركيزهم على الانخراط العميق في القيم العولمية، والقضايا العالمية والانسلاخ عن الثوابت والأسس الهوياتية والعقدية، ما أدى إلى حدوث تفككات اجتماعية، وهوة كبيرة في العلاقات الاجتماعية والتفاعلات الوطنية المناطقية، واهتزت كيانات الأسر باعتبارها الوحدة الأساسية للمنظومة الاجتماعية، وما أعقبها من شروخات هائلة، قلصت بشكل جذري من مكانة التقاليد والأعراف، ومكانة الرمزيات والقدوات، في سلم أولويات الأفراد وتفضيلاتهم الأساسية، لبناء سلوكاتهم ومنظومة أفكارهم وطموحاتهم المستقبلية.

كما أفرزت طرق تفكير وأنساق تفاعلات اجتماعية وأنماط ثقافية متشابكة أثرت بشكل كبير على قيم ومكونات الوطنيات الأصيلة، فهي تعمل على تجفيف خزانات الشعور الجمعي بالانتماء والولاء الوطني، وتمزيق ارتباط الأفراد بدوائر اندماجهم الهوياتية، وقطع صلات الفرد بتاريخه وتقاليده، وتعميق ارتباطه بالقيم العولمية الجديدة، ما يؤسس لاستدامة اختراق اللحمة الوطنية والتماثل الاجتماعي، و التعرض للرموز والقدوات الوطنية لزرع الانشقاق والتفكك داخل الوطن الواحد.

يواجه الشباب سيلا هائلا من الأفكار والمعتقدات والقيم المغرضة، التي تستهدف الكيان القيمي والاجتماعي والتاريخي والرمزي للأفراد، ويخوض الشباب تحديات عسيرة لمواجهة الحروب النفسية وتدفقات القيم الجديدة، وهو ما يدفع الأفراد لاستغلال هذه الشبكات نفسها لتحقيق رهانات الأمن القيمي وتحصين الحس الوطني وصيانة ثوابته وقيم هويته واندماجه الاجتماعي والإعلاء من مكانة رموزه وقدواته، وهذا يحتاج الى سياسات واستراتيجيات إرشادية في استخدام هذه الشبكات لتوظيفها في صناعة قيم المواطنة وترسيخ ثوابت الانتماء والهوية الوطنية.

رابعا– الآليات والسياسات الإرشادية لاستخدام الوسائط الاجتماعية

---

[1]– فاطمة الزهراء عبد الفتاح، **تطور توظيف جماعات العنف ل"الإرهاب السيبراني"**، السياسة الدولية(ملحق اتجاهات نظرية)، مركز الأهرام للنشر، العدد208 مجلد52، أفريل2017،ص ص25-28.

بقدر ما تحمل هذه الوسائط من أسلحة هدم وتدمير ممنهج؛ فإنها تتوفر أيضا على قدرات ومكاسب هائلة لتأهيل الشباب، وتنمية قدراتهم، وترقية قيمهم ومكتسباتهم الايجابية، لبناء الوطن وتحقيق المواطنة السوية والكاملة لجميع أبناء الوطن الواحد، وترجيح الجوانب الايجابية لهذه الوسائط، خدمة لبناء المواطنة، وهذا يتوقف على مدى فعالية أساليب وأنماط استخدامهما، ومدى ايجابية آليات المراقبة والمعاقبة، ومواءمة التشريعات القوانين، والمرافقة الفعلية لبرامج ونشاطات مستخدمي هذه الوسائط، وترشيد توجهاتها بما يخدم الصالح العام، وحتى تتحقق المناعة القيمية لدي الشباب يلزم وضع مجموعة من السياسات والاستراتيجيات الإرشادية، منها:

ضرورة الاهتمام بالوسائط الاجتماعية ومستخدميها وإيجاد إطار تنظيمي وتوجيهي فاعل لضمان ايجابية مشاركة مستخدميها في ترقية قيم المواطنة وخدمة مقاصد الصالح العام، من خلال اطر تحسيسية وتعريفية دورية بأنماط المشاركة والتوجيه اللازمة لضمان عدم انحراف هذه الوسائط والشبكات المقترنة بها وإبقائها في الإطار الوطني والتفاعلي الخارجي الإيجابي بشكل مثمر بما يقدم إضافات وتراكمات معرفية وقيمية تؤهل الجيل الجديد من الشباب من التأقلم والتكيف مع تجليات موجة العولمة وإفرازاتها السلبية ومواجهة مخاطرها وأعراضها السلبية على الثقافات والقيم والعقائد والمكتسبات الوطنية.

وضع ضوابط مصاحبة لاستخدامات هذه الشبكات، لتكون المكمل المتمم الايجابي للتنشئة الاجتماعية، من الأسرة إلى المدرسة، ومن المؤسسات إلى الجهات الوصية .

تكثيف حملات التوعية والتوجيه، والتكوين في هذا المجال، والدراسة الدورية المستمرة لتوجهات وقيم مستخدمي هذه الشبكات، ورصد درجة الاهتزاز القيمي لديهم، لمعالجة إفرازاتها من الانحرافات قبل أن تنخر قيم الفرد، وتفكك ترابط المجتمع، ونسيج الأمة، أي ضرورة خلق آليات المعالجة الوقائية والاستباقية المرافقة لاستخدامات هذه المواقع ومراقبتها المستمرة.

-يجب أن تضطلع كل وحدة بدورها في تسلح الفرد بعوازل التصدي للمؤثرات السلبية لهذه الشبكات: دور الأسرة في تنمية قيم التضامن الاجتماعي، ودور المدرسة في الرفع من مشاعر الارتباط بالهوية الوطنية والدفاع عن مكتسبات الأمة ومآثرها، ودور المسجد في ترقية قيم الإيمان والالتزام بالتعاليم ونهج القدوات.

أهمية تنمية الوازع الديني لدى الشباب، كمضاد حيوي لكبح الإفرازات السلبية لهذه الشبكات، وجعلها في خدمة قيم المواطنة والانتماء الوطني.

وضع مخططات مراقبة محكمة لتجفيف ارتباطات الجماعات الإجرامية، والجماعات المسلحة، وكل الأطراف التي تسعى إلى نشر الخطابات التحريضية والمغرضة، وقطع صلاتها قدر الإمكان بفضاءات المستخدمين، ومواقعهم الترويجية، دون الحد من حريات الأفراد، أو التدخل في إراداتهم التفضيلية الخاصة التي لا تتنافى مع القيم الوطنية.

إن الوسائط الاجتماعية سلاح ذو حدين، فيمكن أن تكون أدوات لصناعة قيم المواطنة والمساهمة في إحداث التنمية والنهضة الاقتصادية والإقلاع الحضاري، ويمكن أن تكون أدوات هدم فتاكة، تنخر قيم الأفراد وتعمل على تسريع اتجاهات التمزق الهوياتي والتفكك الاجتماعي، وهذا ما يجعل من الضرورة أكثر من أي وقت مضى الاهتمام بالسياسات الإرشادية والتوجيهية في استخدام هذه الوسائط، والإسراع في وضع الأطر والتعريفات والتشريعات اللازمة لتوظيف هذه الوسائط كرافعة ايجابية لترقية قيم المواطنة وآلية لتطوير قدرات الشباب والرفع من مؤهلاتهم وتوجيه أفكارهم البناءة، وتنمية طموحاتهم التغييرية الهادفة إلى خدمة الصالح العام ومقاصد الهوية الوطنية التضامنية والثقافات المحلية الفاعلة.

خاتمة:

فرضت شبكات التواصل الاجتماعي نفسها بقوة في العالم العربي منذ ظهورها قبل أكثر من عقد من الزمن، وأثرت على إعادة رسم أنماط العلاقات الاجتماعية ببنياتها التقليدية والحديثة، ما أدى إلى تأسيس مجتمعات عربية افتراضية، أكثر قوة وتأثيرا على الصعيدين

الاجتماعي والسياسي، وما ساعد أكثر على فرض هذه الشبكات هو سهولة استخدامها، وسرعة ونطاق انتشارها، وصعوبة التحكم والرقابة عليها من طرف المؤسسات الوصية، ما ساعدها على تأسيس مجتمعات افتراضية جديدة أكثر فعالية من المجتمعات التقليدية وبنياتها وأنماط علاقاتها.

تزود الشبكات الاجتماعية الأفراد بالكثير من الآليات، والتطبيقات، التي تسمح لهم بترقية منظومة الوعي الجماعي خدمة للمصلحة الوطنية، وتأهيل قدراتهم للانخراط المثمر في قضايا ومشكلات المجتمع، والتصدي لكل محاولات زعزعة الاستقرار، ونشر العنف والكراهية، والجهوية والعنصرية، بين مكونات المجتمع داخل الوطن الواحد.

ويظهر من خلال هذه الدراسة أنه يمكن توظيف هذه الوسائط لترقية العديد من القيم ذات الصلة بصناعة المواطنة، وترسيخ ثوابتها، إذ يمكن استخدامها لخلق مناخ إعلامي توعوي وفضاء لبناء التقارب والتفاهمات والاندماج، ووعاء لتجميع اتجاهات الشباب وأفكارهم، واستكشاف هواجسهم وطموحاتهم، ومنصات لتحقيق الجودة العلمية من خلال التأهيل ورفع القدرات، ومختبر لمعالجة مشكلات الشباب، ومواجهة معضلات الإحباط كما يمكن توظيفها لتحقيق التعدد الثقافي، والانفتاح على الآخر والقضاء على الصور النمطية، والتغلب على حالات نشر الكراهية والأحقاد وتناسل الفتن، للرفع من وعي الأفراد وترسيخ أسس انتماءهم، وقيمهم الوطنية، وارتباطهم برموزهم وقدواتهم.

إن التوظيف الايجابي والمرن لهذه الشبكات، والمتضمن المرافقة والمراقبة، يمكن أن يجعل من هذه الشبكات منارة تنير وعي الشباب، وترفع من قدراته وارتباطاته الهوياتية والاندماجية، وبوصلة ترشد السلوك السوي والمتمدن للأفراد، في ظل موجات العولمة الهدامة، والحروب النفسية المغرضة لتمزيق الكيانات العقدية والتاريخية للأفراد.

تمثل الوسائط الاجتماعية إذا ثورة حضارية واجتماعية، ومرحلة تطور علمي مهم من مسار الانتاج البشري، والإبداع الإنساني، ويمكن اعتبارها علامة فارقة لعوالم وهويات وأنماط تفاعل وعلاقات جديدة، تهندس لحدود وخرائط افتراضية، وتؤسس لبنيات وأنظمة جديدة إلى جانب النظم الاجتماعية والسياسية التقليدية، فهي تعمل على تحويرها وتكييفها مع إفرازات وتحولات هذا العصر التكنولوجي المعلوماتي والعالم المعولم، فلا سبيل أمامنا سوى استخدامها في صناعة قيم المواطنة، وتكوين الأفراد على توظيفها فيما يؤهلهم للتسلح بتقنيات العصر اللازمة لمواجهة إفرازات التحولات السلبية، وكل ما يؤهلنا للإقلاع النهضوي، والالتحاق بالركب الحضاري المعاصر.